المحاضرة الثالثة : قاعدة السياق

السياق في اللغة :هو مصدر كالسوق والمساق وهو بمعنى الحث على السير من خلف . ويقال تساوقت الابل أي تتابعت ،وسياق الكلام اسلوبه ومجراه .

السياق في الاصطلاح :هو كل ما يكتنف اللفظ الذي نريد فهمه من دوال اخرى ،سواء كانت لفظية كالكلمات التي تشكل مع اللفظ الذي نريد فهمه كلاما واحدا مترابطا ،او حالية كالظروف والملابسات التي تحيط بالكلام وتكون ذات دلالة في الموضوع .

وهذا التعريف اوسع مما نحن بصدد دراسته لأنه يشمل القرائن المتصلة كلها اللفظية كالسياق المصطلح عند المفسرين والباحثين وغير اللفظية كقرينة المقام والنزول .

او ((وهو الرابط الذي بين الآيات القرآنية وان نزلت نجوما وفي فترات ، ولمناسبات قد يختلف بعضها عن بعض وكانت كل مجموعة من الآيات تنزل لمناسبة تخصها تستدعي وجود رابط بينها بالذات وهذا هو الذي يشكل السياق)) .

وهذا لا يكون هو الاهم ايضا لأنه يعمل على علم المناسبة وعلم المناسبة شيء والسياق شيء آخر.

لذا ممكن تعريف السياق بـ ((هو عبارة عن قرينة متصلة بالكلام تجعله كلاما واحدا مترابطا ومتناسبا وتوجب ظهور فيما يراد به من المعنى))

اثر السياق في التفسير:

ان للسياق اثر واضح وكبير في بيان الواقع العلمي للقرآن وخصوصا ما اكده المدرسي في ذلك حيث قال :ان القرآن يلاحظ ارتباط آية بأخرى بملاحظة دقيقة ولا تتلاحق

الآيات ولا الكلمات داخل آية واحدة الا بإحدى علاقتين اما علمية او تربوية ثم يتحدث عن العلاقة العلمية ويقول ان القرآن يعكس واقع ارتباط حقيقة بأخرى فيذكرهما مع بعض فمثلا قوله تعالى: ((**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ**)) محمد: ١٩.ان علاقة الاستغفار من الذنب بتوحيد الله علاقة واقعية تفرضها الحقيقة الربانية من جهة والعبودية من جهة ثانية ، لذلك ان العقيدة بأحادية الله توجب العقيدة بعبودية الله .

اما العلاقة التربوية لما كان القرآن كتاب تربية وصفات النفس ترتبط بعضها ببعض كان القرآن المجيد يلاحق النفس البشرية بما يصلحها من التوجيهات فان طغت افراطا وان بغت تفريطا عالجها بحكمة ، ولايزال يعدلها حتى تتحول الى نفس سوية ومثال ذلك ((**وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**)) البقرة ١٩٥.

فان هذه الآية تشتمل على ثلاث جمل الاولى في الإنفاق ،وهو اول ما امر الله به لذلك توجهت النفوس اليه، وعندما كان هناك خوف من التقصير بالإنفاق ،جاءت الجملة الثانية تنهى عن التهلكة التي تقع اذا ترك الانفاق ، ولما كانت النفوس مجبولة ومفطورة على البخل ،كان لابد من ترجيح كفة الانفاق فقال (**وَأَحْسِنُوا**) .

ونرى السيد الطباطبائي يهتم بشأن السياق اهتماما كبيرا حتى اكثر فيه وتمسك بسياق الآيات في تفسيره الميزان ففي سورة النبأ اشار الى عشرين مورد.

في حين جواد آملي قال : ان السياق هو الهدف الاقصى للآيات قد يوضح بظهور السياق معنى الآية ففي هذا القسم يتحد كل من المفسِّر والمفسَّر، وقال قد يستمد بظهور السياق كشف الربط بين الكلمة المجهولة المعنى والكلمة المعلومة المعنى .

ونرى ان ابن قيم الجوزية (ت751هـ) قال هذا من اعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن اهمله غلط في نظره وغالط في مناظراته .وقد اشار الزركشي(ت794هـ) بان للسياق دورا مهما في تفسير القرآن، ونجد في كلامهما امورا في ضوء دلالة السياق من خلال تبين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة .واشار عزة دروزة الى دور السياق في فهم النصوص القرآنية حيث قال ((ان اكثر الفصول والمجموعات في السور القرآنية متصلة السياق ترتيبا او موضوعا او سبكا او نزولا وان فهم معانيها وظروفها الزمنية والموضوعية وخصوصياتها وعمومياتها وتلقينها وتوجيهها واحكامها فهما صحيحا لا يتيسر الا بملاحظة تسلسل السياق والتناسب وان في اخذ القرآن آية آية أو عبارة عبارة ،او كلمة كلمة بترا لوحدة السياق في كثير من المواقف والمواضيع وهو مؤد الى التشويش على صحة التفهم والتدبر والاحاطة او على حقيقة ومدى الهدف القرآني)).واشار اغلب المفسرون الى السياق في تفاسيرهم واهتموا فيه كثيرا .

<u>مدى تأثير السياق.</u>

ان مدى تأثير السياق في مجال التفسير كبيرا لأن السياق هو قرينة اذا كان معنى الآية مبهما او مجملا ولم يكن مبينا والا لم يكن للسياق دور و تأثير ،وكذلك يكون السياق قرينة اذا لم تكن المعاني المتعددة المستفادة من الآية متلائمة ومتناسبة بعضها مع بعض والا لم يكن للسياق دور، مثلا قوله تعالى: **((الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**

جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) فاطر: ١ ، يحتمل فيه معنيان وهما زيادة الخلق في أجنحة الملائكة وزيادة في مطلق الخلق وكلاهما يتلاءمان مع السياق في حين ذهب الطباطبائي الى ان السياق يشعر بأن من الملائكة من يزيد اجنحته على اربعة .

وقد يكون السياق قرينة صارفه للمعنى الظاهر من الآية كما في قوله تعالى **((وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ))** الصافات: ٩٦.

فان ظاهر الآية يدل على الجبر ،وان الله تعالى يخلق للإنسان افعاله ،اما ملاحظة السياق فيبدوا أن المراد من خلق الاعمال انما هي الاصنام وصانعوها لأنه الله عز وجل حكى عن ابراهيم حين راغ الى الالهة انه خاطبها ،وقال: **((فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ))** الصافات: ٩١ – ٩٦.

<u>حقيقة السياق .</u>

من الواضح من كلمات العلماء والباحثين في علوم القرآن في شأن السياق هي من اصل القرينة المتصلة بالظهور اللفظي في كشف حقيقة المعنى ،كما صرح به العلماء كرشيد رضا والصدر وغيرهم ،فقال :اذا قال الآمر(اذهب الى البحر في كل يوم) ففي مثل كلمة البحر يكون لها معنى حقيقي قريب (بحر من الماء)ومعنى بعيد مجازي (كالبحر من العلم)ففي هذه الحالة عندما نريد ان نعرف المعنى المراد هل هو حقيقي ام مجازي لابد من الرجوع والنظر الى السياق في كلمة (البحر) فاذا لم نجد هناك في الكلمات التي وردت في السياق ما يدل على خلاف المعنى الظاهر من كلمة البحر فلا بد لنا

من الرجوع في تفسير كلمة البحر الى المعنى اللغوي الاقرب تطبيقا للقاعدة العامة القائلة بحجية الظهور.

فاذا كان هناك في سائر اجزاء الكلام ما لا يتفق مع ظهور كلمة البحر كأن يقول (اذهب الى البحر في كل يوم واستمع الى حديثه باهتمام) فهنا الدلالة واضحه يدل على البحر من العلم فلا يتفق مع المعنى اللغوي الحقيقي وهو البحر من الماء اذا لابد من الذهاب الى المعنى المجازي، وهو البحر من العلم وهذا المعنى يعرفه بوضوح الذي يعيش في اللغة ونظامها بصورة صحيحة فالقرينة واضحة وهي كلمة الحديث فمن خلالها يمكن معرفة المراد منها لأنها الوارد في السياق وهي الفاصل بين المعنى الحقيقي والمعنى اللغوي .

في حين هناك بعض الباحثين المعاصرين في علوم القرآن جعلوا السياق قرينة منفصلة .

اقسام السياق

هناك قسمين للسياق احدهما من داخل الآيات القرآنية : ويسمى بالسياق الداخلي ،والاخر من خارج الآيات ويسمى بالسياق الخارجي.

السياق الخارجي

تقسم اقسام السياق الى ثلاثة وهي كالاتي :

1-السياق العام :ويشمل المفاهيم الاسلامية والنص القرآني كاملا ،وبيانه في السنة قولية وعملية .

2–سياق موضوعي :ويشمل هذا النوع من السياق الآيات الواردة في موضوع واحد او يشمل الآية الوارد فيها اللفظ الذي يخص جزءا من الموضوع ويؤثر فيه العاطفة التي تؤثر في اختيار الكلمات والتي تتوقف بناءً على فهم هذا الموقف كاملا.

3–السياق اللغوي :يشمل الالفاظ والتراكيب التي تحيط باللفظ موضوع الدراسة بما هي العناصر اللغوية الاساسية التي يعتمد في الفهم عليها ولابد ان لا يكون هناك تناقض بين التفسير ودلالاتها دون وجود قرينة .

السياق الداخلي

ينقسم السياق من هذا الجانب الى عدة اقسام وهي كالاتي:

1–سياق الحروف ،والمراد به :تنظيم الكلمات وتراكيبها من الحروف التي تكون بمنزلة المواد لبنائها ،وهذا السياق مسند الى كل متكلم خاصة .

2–سياق الكلمات :هو نظم الكلمات والاسلوب القائم في تراكيبها ومن ثم تأليف الجملة منها وهي ايضا الخصائص المودعة في الجمل :من مبتدأ وخبر وفعل وفاعل وغيرها من الامور الاخرى، وهذا في القرآن كله من صنع الوحي السماوي لا غير .

3–سياق الجمل :وهو النظم الكامن في تركيب الجمل ومن ثم تأليف الآية من تلك الجمل .وهذا هو احد محطات البحث في قرينة السياق وهو حجة بشرط عدم القرينة القطعية على انفصال تلك الجملة عما قبلها وعما بعدها .

4-سياق الآيات :ويراد به ان تكون الآية قرينة على تفسير الآية الاخرى وتكون بمثابة الحجة اذا توفر بها شرطين :الاول : هو وجود الصلة والرابط الصدوري بينهما ،أي بمعنى تنزل دفعة واحدة ، والاخر : وحدة موضوعهما كليا او جزئيا .

5-سياق السور :وهو ترابط السور القرآنية وتناسب بعضها ببعض والبحث عنه وعما قبله .

تطبيقات القاعدة

بما ان للسياق تأثير في تفسير القرآن ،فهنا نذكر بعض الموارد التي يكون للسياق تأثيرا فيها لو اعتني بالسياق وهي كالاتي :

1-كشف المعاني وتجلية المقاصد .

ففي تفسير قوله تعالى((**وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ**)) يونس: ٣٧ قال بعض المفسرين : اراد الله بالتفصيل هو تبيين الفصل من المعاني الملتبسة حتى يظهر كل معنى على حقيقته. في حين ذكر اخرون هو اراد بيان المعاني المجملة في القرآن من الحلال والحرام والاحكام الشرعية .وقال الطباطبائي وقوله : (**وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ**) عطف على (**تَصْدِيقَ**) والمراد بالكتاب بدلالة من السياق جنس الكتاب السماوي النازل من عند الله سبحانه على أنبيائه ، والتفصيل إيجاد الفصل بين أجزائها المندمجة بعضها في بعض المنطوية جانب منها في آخر بالإيضاح والشرح

وفيه دلالة على أن الدين الإلهي المنزل على أنبيائه عليهم السلام واحد لا اختلاف فيه إلا بالإجمال والتفصيل ، والقرآن يفصل ما أجمله غيره كما قال تعالى : ((**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ**)) آل عمران : 19 . وأن القرآن الكريم مفصل لما أجمله الكتب السماوية السابقة مهيمن عليها جميعا .

2-قبول الاحاديث ورفضها.

كما ورد عن الامام الصادق (ع) في تفسير قوله تعالى((**صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ**)) البقرة: ١٣٨قال الصبغة هي الاسلام وقال الطباطبائي هو الظاهر من سياق الآيات .

ومما رفضه الطباطبائي وقال ان هذا لا يتلائم مع السياق في تفسير الآية (**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**))الأعراف: ٤٣ روى السيوطي عن علي (ع) قال نزلت (فينا اهل بدر)حيث قال الطباطبائي ان وقوع الجملة في سياق هذه الآيات مكية يأبى نزولها في بدر وقد وقعت الجملة ايضا في سورة الحجرات وهي مكية وهي تتحدث في سياق آيات اهل الجنة .

1-كشف الروابط

يقول آملي :قد يستمد بظهور السياق كشف الربط بين الكلمة المجهولة المعنى والكلمة المعلوم معناها كما في قوله تعالى :((**إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى**

وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)) التوبة: ٤٠ حيث جعل مرجع الضمير في كلمتي (عليه) و(ايده) مشكوك لاحتمال رجوعه الى النبي (ص) واحتمال رجوعه الى صاحبه في الغار ،لكن بقرينة الضمائر الخمسة جميعها ترجع الى النبي (تنصروه، ونصره،اخرجه، يقول، لصاحبه)والسياق واحد يعلم ان الضميرين يرجعان الى النبي (ص).

4-تفضيل قراءة من القراءات .

من خلال السياق يمكن تفضيل بعض القراءات على غيره كما في قوله تعالى: ((**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**)) البقرة: ٢١٤ حتى (يقول الرسول والذين آمنوا معه)، قرء بنصب يقول والجملة على هذا في محل الغاية لما سبقها ، وقرء برفع يقول والجملة على هذا لحكاية الحال الماضية ،والمعنيان وإن كانا جميعا صحيحين لكن الثاني أنسب للسياق ، فإن كون الجملة غاية يعلل بها قوله : وزلزلوا لا يناسب السياق كل المناسبة .

5-ترجيح الآراء

اعتمد بعض المفسرين على السياق في ترجيح الآراء من حيث الرفض والقبول ففي تفسير ((**وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ**)) الزمر: ١٢

فقد رجح قول الزمخشري في تفسير الآية حيث قال في معناه وجوه :1-ان اكون اول من اسلم في زماني ومن قومي 2-ان اكون اول الذين دعوتهم الى الاسلام 3-ان اكون

اول من دعا نفسه الى ما دعا اليه غيره .فرجح الطباطبائي الراي الثالث فقال الانسب لسياق الآيات هو الوجه الثالث .

6-التمييز بين المكي والمدني من السور القرآنية .

يعتبر السياق احد الطرق التي يسلكها المفسرون والباحثون في علوم القرآن للتعرف على مكي السور من مدنيها فنلاحظ الطباطبائي اهتم في السياق كثيرا في السور لمعرفة المكي من المدني منها مثال ذلك :

قال في سورة الانعام :انها مكية وهذا من ظاهر السياق الذي وجه الكلام جلها او كلها للمشركين.

ان سورة الانفال :سياق الآيات يعطي انها مدنية نزلت بعد وقعت بدر .وهكذا في اغلب السور القرآنية .